Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Araştırmaları Merkezi

د. عبد الستّار عزّ الدين الرّاوي

التّصوّف والباراسايكولوجي

مقدّمة أولى في الكرامات الصّوفيّة والظّواهر النفسيّة الفائقة

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

حقوق الطبع محفوظة

1994 - 1969
25 عاماً

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

المركز الرئيسي:
بيروت، ساقية الجنزير، بناية
برج الكارلتون، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي: موكيالي، هـ ٨٠٧٩٠٠/١
تلكس: LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧

التوزيع في الأردن:
دار الفارس للنشر والتوزيع: عمّان
ص.ب: ٩١٥٧، هاتف: ٦٠٥٤٣٢، فاكس
٦٨٥٥٠١ - تلكس ٢١٤٩٧

الطبعة الأولى
١٩٩٤

بسم الله الرحمن الرحيم

« ربنا لا
تؤاخذنا
ان نسينا
أو أخطأنا »

صدق الله العظيم

مقدمات أساسية

- ١ -

إن فكرة تقديم هذه المقدمة الاولية ، ليست أكثر من محاولة علمية متواضعة تسعى إلى بسط مبادىء التصوف والباراسايكولوجي، ولعل الحوار حولها ، وتبادل الرأي في ما تطرحه من أفكار وتقدمه من ملاحظات ، وترتقي إليه من نتائج ، تمنح المقدمة قدراً من التعديل والتهذيب ، أو توفر لها فرصة أضافية للمراجعة والتقويم ، وهي تقاليد تحتمها حرية الرأي ، ومبادىء الحوار ، ومستلزمات البحث العلمي . أن الذي يهيىء نفسه صوب القرن الواحد والعشرين ، ويتوق الدخول إلى عالم المستقبل ، ولا يزود نفسه ، بكتاب ذي بعد واحد ، انما يغني عقله بالمعرفة ، وبوجهات نظر مختلفة ، وربما متناقضة ، لأن منطق البحث العلمي يؤكد أمامنا كل يوم ويضع بين أيدينا على الدوام ، بأن العالم لم يعد لوحة الابعاد الثلاثة الباردة ، وأنما هو البعد الرابع . . ولعل الانسان هو البعد الخامس ، مثلما هو البعد الذي ما زال يمتد من الأزل ، وحتى يرث الله الأرض ومن

عليها ، وهو آية بينة أودع الله فيه أسرار العلم واسرار الجمال ، وأسرار المستقبل .

أن واحدةً من أخطر نتائج المنهجية الاتباعية ، هي محاكاة النموذج الاروبي واقتفاء خطواته ، وأحتواء صفحاته ، ولك أن مثل هذا الاستغراق الكلي ، والأسترخاء في وعاء التجربة الغربية ، قد يضيع علينا فرصة تحديد البدايات المنطقية الصحيحة ، مما يحتم علينا وضع فروض واقعية لبرامجنا نحن ، وكل ذلك يجري في شكل أستعارات الية ، تحاول عبرها تبني وجهة نظر الآخر ، ومثل هذا الامر من شأنه أن يعلق هويتنا ، منهجاً ومضموناً ، وتجربة ، بعد أن وقعنا تحت سحر (النصوص والتجارب والاسماء الاجنبية) . ولعل ذلك يعد سبباً كافياً ، لأن يضيع علينا نقطة البداية ، فنصبح والحالة هذه محض (نقلة نصوص) و (رواة حكايا) . . فنتبنى نتائج عمل الآخر ، تأخذنا الحماسة لها ، والدفاع حتى عن أخطائها أحياناً ، دون أن نوفر لأنفسنا جهداً حقيقاً لعملنا ، فندور حول أنفسنا أو في الحد الاقصى نجري استنساخاً مشوهاً لمعطيات عقل آخر ينتمي إلى بيئة حضارية لها مناخها ، وشروطها ، والى جهد آخر له خصوصيته ، وامكاناته والياته في البحث والمتابعة والتجربة .

لتجنب الوقوع في مغبة الاخطاء المنهجية الشائعة ، والارتقاء إلى مقام الحقيقة التي نغذّ السير صوابها ، تسعى هذه المقدمة أن تبدأ

خطواتها من (الخاص) إلى (العام) ومن (التراث العربي والاسلامي) إلى (ظواهر الفكر المعاصر) . . على سبيل المقابلة والمقارنة . . وبناء النتائج النسبية .

ان تجربة الكتابة في مثل هذا النوع من الاهتمامات أمر تحتمه ثقافة عصرنا ذات الطابع النقدي ، وأن محاولة الوصول إلى نتائج محددة ، لا بد ان تسبقها مقدمات أولية ، عرضاً وتفسيراً ، ويقتضي التنويه بجملة من المعضلات يمكن تعيين البعض منها في الاتي : ـ

الأولى :

تقتضي الاحاطة النسبية بأصول التصوف ، دراسة اتجاهاته ومدارسه ، وفهماً عميقاً لمقاصده ومعرفة أذواقه ومواجيده ، فالمتأمل يلاحظ في حياة الصوفية ، وفي ما عبروا به عن مذاهبهم ، أن النفس الانسانية هي المحور الرئيس الذي تدور عليه رياضتهم ، ومجاهداتهم ، وأذواقهم ومواجيدهم ، فالتصوف ، من هذه الناحية ليس الا رياضة للنفس ، وكبحاً لجماحها ، ومجاهدة لأهوائها وتنقية للقلب من أدران الشهوات ، وشوائب النزوات ، والتصوف بعد هذا كله ذوق ووجد ، وفناء عن الانية ، وبقاء في الذات العلية ، واتصال بالمنبع الأزلي الأسمى الذي يفيض على الكون ، كل ما فيه من ايات الحق والخير والجمال . ان الاحاطة بكل جوانب التصوف أمر متعذر مثل من يريد أن يعرف كل شيء عن التصوف دون أن يسلك طريقه كمثل الذي يتفحص ثمرة لم يذق بعد طعمها ولا عرف نكهتها .

الثانية :

استقصاء اصول الباراسايكولوجيا والتعرف على مقدماتها الأساسية و والأهم من ذلك كله ، هو الموقف من الظواهر فوق الحسية ، نفياً وتاييداً ، أو على الأقل توفر قدر معين من النظرة المحايدة .

ومع ذلك فأن المناقشات حول الظواهر فوق الحسية غالباً ما تأخذ شكلاً عاطفياً متطرفاً ، فهي أما مرفوضة رفضاً قاطعاً ، أو مقبولة على علاتها .

ويزيد من ذلك أنها أصبحت من محاور الجدل الضمني بين ذوي الاتجاهات المثالية والمادية ، أي ، أنها أصبحت مشكلة في الفلسفة وفي السياسة أيضاً ، فالمثاليون يعتبرونها شواهد حية ماثلة لم يستطع العلم التجريبي حتى الآن أن يجد لها التفسير العلمي المقبول ، والماديون يوصدون أبوابها هروباً ، دون أن يقدموا براهينهم على نفيها .

ولعل أقوى حجة يسوقها خصوم الباراسايكولوجيا ، هي عدم القدرة على استخدام المنهج الاحصائي التقليدي للظواهر فوق الحسية .

ان ما يتقبله العلم ينبغي أن يتميز بخاصية القدرة على التكرار والحدوث ، عندما يقوم أحد العلماء بتجربة موضوع البحث مرة

ثانية ، والتجربة يجب أن تكون ممكنة الوصف بشكل كامل ، ومن ثم تُمْكن اعادتها أمام الباحثين الذين يجب أن يحصلوا على النتائج نفسها ، وذلك قبل أن تتحول تلك التجربة إلى حقيقة علمية مدققة ، ومبرهن عليها .

أزاء هذا المنطق العلمي الصارم فأن المشكلة الرئيسية التي تثيرها الظواهر الخارقة ، هي أنها تبدو متناقضة مع مفهومات محددة ، أصبحت أساسية في حضارة وثقافة هذا العصر ، مثل مفهومنا عن الزمن والسببية والنسبية ، والطاقة والذهن والمادة .

وفي ضوء ما تقدم تتعين إعادة المعضلة عبر السؤال الاتي : ـ

هل توجد فعلاً ظواهر خارقة ، وهل تمكن الاستفادة منها في شؤون الحياة ؟ ، ولماذا ؟ ولذلك نخاطر بالارتطام ببعض مفاهيمنا المادية التي تبدو لبعضنا ثابتة ومقدسة .

ان الاعتراف بوجود ظواهر خارج نطاق وجهة النظر التقليدية في الطبيعة وعلم النفس أمر يحاول أصحابه أن يثبتوا جدواه ، واننا سوف نتحقق منه في الوقت المناسب عندما تستكمل أدوات المعرفة العامة .

الثالثة :

ان الكرامة نشأت وترعرعت في أوساط العامة ، بعيداً عن الحس